# شَـرُّ البليّـةِ ما يضحـك

أَمَرَ القائدُ العسكريّ جنودَه بالرحيل الفوري عن ثكنتهم المتوضِّعةِ في كروم الزيتون شرقي القرية العالية سكوفيا ، فالعدوُّ ينوي قصفَ الثكنة بما فيها من عساكر ومدفعية ، وتحت جنحِ الظلام تقاطرت الآليات تحمل الجنود ومُعداتهم وتسللوا دون ضَجّةٍ ولا أنوارَ كاشفة حتىٰ لا تنكشف خطتهم ، ولمّا وصلوا المكان المخصص في منخفضٍ تستُره هضابٌ مرتفعة وشجرُ كينا عالية وتمركزوا هناك ، وقد ستروا المدافعَ بأغطيةٍ تُمَوِّهُها وحفروا خنادقَ ودشمٍ للتمركز تحسباً من طيرانٍ يصادفهم في النهار .

ولما نفَّذَ القائدُ وعسكرُه الأوامرَ بحذافيرها وترك ثكنته التي هيَّأَتْها السرية علىٰ مدىٰ سنين وحَصَّنَتها وأقامت فيها الملاجئَ وسوَّرتها بالأسلاك الشائكة والخنادق؛ تجنباً من وقوعِ خسائرَ بين الجنود من الغارة المحتملة كما علموا .

رَكَّزَ السَّدَنَةُ المدافع في مرابضها الجديدة وحسب خبراتهم المتراكمة فقد صَوَّبوها إلىٰ أهدافِ الأعداء ، وأعطوها زوايا

وإحداثياتٍ حَسَبوها مُسْبَقاً في المناورات ، واستعدوا لملاقاة الطائرات وإطلاق النيران عليها وعلىٰ مدافع الأعداء ، التي تعتدي علىٰ خطوط الجبهة السورية والقرىٰ الآمنة في الطرف الشرقي للبحيرة باستمرار ، ولطالما أوقعوا إصابات وخسائر بهؤلاء المدنيين كقرىٰ الكرسي والدوكا وسكوفيا ، وشكوم والحمة وغيرها .

كلَّف القائد أحدَ الجنود بحراسة الثكنة المُخْلاتِ وأمره بمراقبةِ مداخلها ومخارجها وأجوائها وإِعْلامِه عن كل شيء بواسطة الهاتف الحربي .

وفي اليوم التالي كان هذا الجندي يرقبُ السماء ، وهو يعلم أن الغارة الصهيونية قد تحدث في أي وقت ، فالغدر من سماتهم فهم يأتون بوقت لا تتوقَّعهُ .

وعندما انتصف النهار ظهرت القاذفات العملاقةُ من فوق سطح الماء بالبحيرة ، تتهادىٰ وهي تحمل في بطونها الموتَ الزُّآمَ ومجرمين قتلة يسْعدون بهلاكِ غيرهم وآلام الآخرين ، ولمّا وصلتْ فوق القرية الشماء العالية الآمنة بسكانها وأهلها المؤمنين ، رَمَتْ عليهم أطناناً من المتفجرات وصارت الأرض والحجارة تشتعل لَهباً وتتفجَّرُ صواعقَ فتقتلُ كل حياةٍ علىٰ أرضها وفي بيوتها وكانت المجزرةُ التي أودت بحياة الكثيرين من الشيوخ والأطفال والنساء والشباب .

ولما رأىٰ هذا الحارس هجوم الطائرات وما أحدثت في القرية من دَمارٍ وَقَتْلٍ ، أسرع يدخل الملجأَ القريب من محرسه وليخبر قائده بما يَحْدُث ، فإذا بالصواريخ تنزلُ علىٰ ثكنته وفوق مَلجئِهِ الذي لاذَ في جَوفِهِ ، فكانت الانفجارات وكأنها القِيامةُ قد قامت والأرض تهتزُّ ، والحجارة والتراب تنزل عليه وقد امتلأ المكان بالدخان والغبار وهو يأوي إلىٰ زاوية في هذا المخبأ ، وما أدهشه وأخافه أكثر هو أفعىٰ ضخمة دخلت المكان وراحت تجوب فيه باحثةً عن جُحرٍ يُخفيها وهي مذعورة من شدة الضربة ، وهكذا راحُ هو الآخر يجري أمامها خوفاً منها وكانت لحظات رهيبة ، فلا يستطيعُ الهرب خارجاً؛ لأن الطائرات العدوّة مازالت تلقي برصاصها علىٰ كل ما يتحرك ، وصار بين نارين نارٌ في السماء وأخرىٰ تحت الأرض ، ولم يكن حال الأفعىٰ بأحسن منه رهبة وخوفاً.

ولمّا انتهت الغارةُ وهدأ روعُ الجندي إلا من خطر هذه المُتَطَفِّلةِ التي وجدها هادئةً وشرُّها أهونُ عليه من تُجارِ الموت الصهاينة ، وهم يتلذذون بقتل الناس الآمنين. إنها عقيدتهم التي تربّوا عليها ، ولقّنهم إياها غلاةُ الصهاينة المجرمون.

ونظر إليها فوجدها قد هدأت وهي تنظرُ إليه في ريبةٍ! فأشار لها ، أن اذهبي في حال سبيلك ، وكما سَلَّمني الله من هذه المِحْنَةِ! فَلَكِ السّلامة: فخذي فرصتك بالنجاة ولا تخافي مني ، ما دمتِ لا تؤذي أحداً ، ولن أدعَ أحداً يؤذيكِ! فانسَلَّت من باب

الملجأ خارجَةً تبحث عن جُحْرٍ يُؤويها ، وراح هو يتفقَّدُ الأضرار التي حدثت جَرّاءَ الغارةِ ، وصار يعطي تقريراً مفصلاً عَبْرَ الهاتفِ لقائده ، إلا من حادثة وقصة الأفعىٰ التي تركها ليرويها بينه وبين أصحابه وأهله وهو يتندَّرُ ويضحك ويضحكون ، وقولهم: «شَرُّ البليّةِ ما يُضْحِكُ».

* * *

obeikandl.com